أخر بحار الدنيا

بقلم دكتور : حسام العقاد

ريشة الفنان : عبد الناصر شعبان

المركز العربي الحديث
١٠٣ ش الإمام علي ـ ميدان الإسماعيلية
مصر الجديدة القاهرة ت / ٢٧٠٦٠٤٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ

المركز العربي الحديث
١٠٣ ش الإمام علي — ميدان الإسماعيلية
مصر الجديدة القاهرة ت / ٢٧٠٦٠٤٨

التوزيع في تونس :
سوسيس 2 مكرر نهج على الرياحي مونفلوري 1008 تونس - هاتف : 350553

آخر بحار الدنيا

جَلَسَ أَصْدِقَاءُ السَّندباد البَحَرى فى صَدْرِ القَاعَة الوَاسعة ، وَحَوْلَهُ أَصْحَابُه وَرِفَاقُه ، وَبَدَأَ يَرْوِى لَهُمْ مُغَامَرَاتَ رِحْلَتَه السَّابعَةَ قَائلاً :

ـ كَانَتْ رِحْلَتى السَّابعَة إلى الصَّين ، رَكِبْتُ السَّفِينَةَ مَعَ مَجْمُوعَة منَ التَجَّار الْمعرُوفين ، وَسَعدْتُ بصُحْبَتى لَهُم ، وَمرَّت أَيَّامُ الرحلَة وَنَحْنُ فى سَعَادَة وَمَرَح وَتَفَاؤُل ، حَتَّى هَبَّتْ عَاصفَةٌ شَديدَةٌ ،

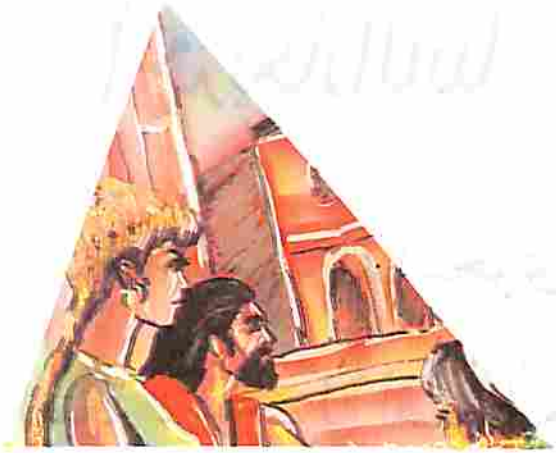

وأمْطَرت السَّمَاءُ بغَزَارَة ، وَخَشَينَا عَلى بَضائعنَا أنْ يُتْلَفهَا المَاءُ ، فَأخَذْنَا نُغَطِّيهَا ، وَبَيْنَمَا نَحْن نُخَبِّئ بَضَائعنَا صَعَد الْقُبْطَانُ عَلى الصَّارى ، وَرَاح يُدير رَأسَه يَمينًا وَيَسَاراً فى قَلق وَتَجَهُّم ، فَسَألتُه : يَاقُبْطَان . . أحَدَثَ شَيىءٌ ؟ أجَابَ الْقُبْطَان فى حُزْن : لَقَدْ غَيَّرت الرِّيَاحُ مَسَار

السَّفينة ، وَوجْهَتهَا إلى آخر بحَار الدُّنيا ، إنَّنا فى خَطَر .

ونَزَل القُبُّطَانُ وَهُوَ يَقُول : هَذه المَنْطقَةُ تُسمَّى إقْليمُ المُلوك ، وَبهَا حَيَّاتٌ ضَخْمَةٌ ، وَحيتَانٌ تَبْتَلعُ السُّفُن ، ولَمْ يَصل أحَدٌ إلى هُنَا ، وَعَادَ سَالماً أبَداً .

وَتَملَّكنَا الْخَوفُ ، وَرَاح الْمَركبُ يَرْتَفعُ لأعْلَى بتَأثير الأمْوَاج ، ثُم يَهْبط بعُنْف وَيَهْتَزُ وَيَترَنَّحُ ، ثُمَّ سَمعْنَا صَرْخَةً كَصَوت الرَّعد ، أعْقَبها ظُهورُ حُوت ضَخْمٍ ، وَتبعَه حُوتٌ ثَان ، ثُم حُوتٌ ثَالثٌ ، فَأيْقَنَّا

بالهَلاَك . . وَدَارَت الْحيتَانُ حَوْلَ السَّفينَة ، وَدَفَعْتها بعُنْف فَتَحطَّمَتْ ، وَغَرقَتْ كُلُّ البَضَائع ، وَجَميعُ الرُّكَاب وتَعلَقْتُ بأحَد أَلْوَاح السَّفينة ، وَدَفَعتنى الأمْوَاج وَأنَا فى غَايَة الْخَوف وَالرُّعب ، وَطَفَقْتُ ألومُ نَفْسى عَلَى اندفاعى وَرَاءَ حُبَّ السَّفر وَالمُغَامَرة ، رَغْمَ كُلَّ مَا قَاسَيْتُه فى رَحَلاتى السَّابقَة ، وَرُحْتُ أدْعُو اللّه أنْ يُنَجينى ، وَصَارَعْتُ الغَرَق لمُدّة يَوْمَين ، حَتَّى وَصَلتُ إلى جَزيرة مَليئة بالأشْجَار وَالأنْهَار

، فأكلتُ وَشَربْتُ واستَرحْتُ منَ التَّعب ،

وَقَـرَّرتُ أن أصْنَع طَوفَاً لِيْنقلنى إلى مكَان عَـامـر بالسكَان ، وَجَـمَـعْتُ الأخشَـاب ، وَجئْتُ بأغصان ونَباتَات وَفَتَلْتُهَا كَالْحبال وَشَدَدْتُ بِها ألواحَ الْخَشَبِ ، حَتَّى أتْمَمتُ صُنْعَ الطَوْف .

وَرَأَيْتُ نَهْراً كَبيراً فى نهَايَة الْجَزيرة ،

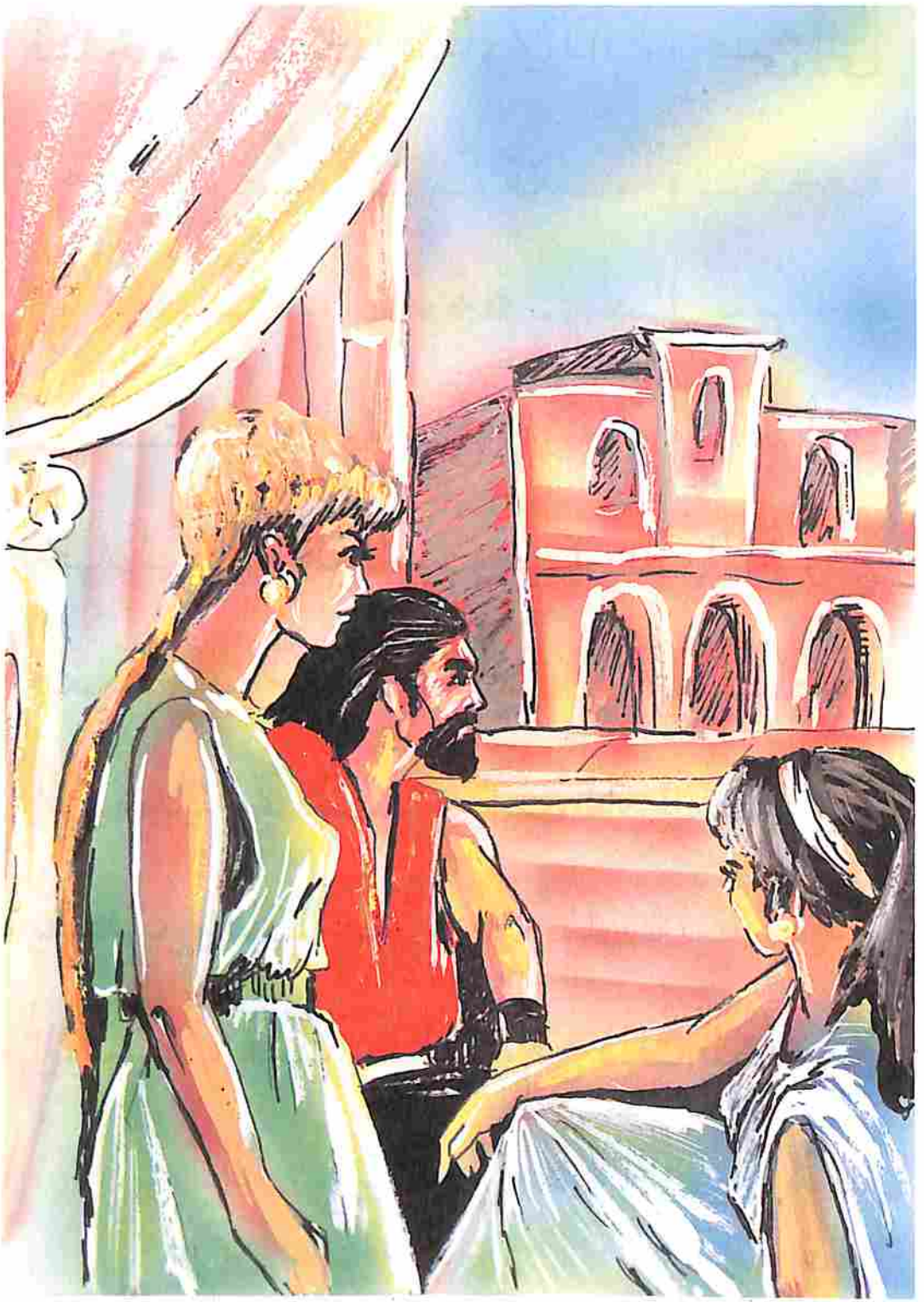

فَسَحَبتُ الطَوف إليه ، وَبَدَأتْ رِحْلَتى إلى المجْهولِ .

❖❖❖

اسْتَمَرتْ رحْلتى ثَلاثَة أيَّام ، لمْ أذُقْ خلاَلَهَا أىَّ طَعَامٍ ، وَصَارعتُ الأمْوَاج القَوِيَة حَتَّى أنْهكت قُواى ، وَوَصَلْتُ أخيراً إلَى مَدينة عَظيمة وَرَأيْتُ أشْخاصاً مِنْ بَعيد ، وَكَان الْمَاءُ يَنْحدرُ بشدَّة ليَصلَ إلى المَدِينَة ، فَسَارَ الطَّوفُ فِى ذَلِك المُنْحَدِرِ

الخَطَر ، ولأنَ أهْلُ المَـــدِينَة فِى خَطَر

فَأحضَروا شَبكَةً كَبيرةً ألْقُوها فَوْقِى وَجَذَبُونى إلَيْهم ، فَارْتَمَيتُ أمَامَهُم وأنَا فِى شِدَّة التَّعَب وَالْجُوعِ . .

وَتَقدَّم مِنى شَيْخٌ كَبيرٌ ، ورَحَّبَ بِى ، وَأحْضَر لى الثِّيَابَ ، وَجَاءَ بالطَّعَام الفَاخر والشَّرَاب الْمُنعشْ ، فَأكَلتُ حَتَّى شَبِعْتُ ، وَحَمَدْتُ اللّه ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ـ عَلى النَّجَاة وَالْتَّف حَوْلى الغُلْمَان وَالْجَوارى لخِدْمَتى ، وَهَيَّأ لِى الشيَّخُ مَكَانَاً فِى دَارِه

وَأَمَرَ الغِلْمَانَ وَالجَوارِى بتَنفيذ أوَامرى والسَّهَرَ عَلَى رَاحَتى ، وَمَكَثْتُ عِنْدَه ثَلاَثَة أيَّام ، اسْتَرحْتُ خلاَلَهَا منْ عَناء الرَّحْلَة الْقَاسِية ، وَفِى اليَّومِ الرَّابِع جَاءَ الشَّيخُ لزيارَتى ، وَقَال لى :

ـ هَيَّا مَعى إلى سَاحِل البَّحر لتَنْزِل السُّوقَ وَتَبيعَ بِضَاعَتكَ ، وَتَقْبِضُ ثَمَنها .

سَأَلْتُه مُنْدَهشاً : أىّ بِضَاعة ؟ لَقَدْ غَرقَت كُلَّ بَضَائعى .

قَالَ فِى رِفْقٍ : هَيَّا مَعى . . وَسَتَرى .

وَسِرْتُ مَعهُ وَأَنَا أفكّر فى هَذه البضَاعَة ، وَوَصَلْنَا إلى السُّـــوق ، وَرَأَيْتُ خَـــشَبَ الطوف الَّذى جئْتُ به ، وَرَجُل يُنَادى عَلَيه لِيَبيعهُ ، وَجَاء التجَّارُ ، وَتَزايَدُوا عَليه إلى أنْ بَلغَ ثَمنهُ أَلْفَ دِينَار ، فَقَال لى الشَّيْخُ :

ـ هَـــلْ تَبيعَنى هَذَا الْخشَبَ مُقابِل أَلْفَ دِينَارٍ وَفَوْقَها مَائَة دِينَارٍ ذَهَباً . .

وَافَقْتُه عَلى الفَوْرِ ، وَقَبَضْتُ الثَّمنَ ، وَعُـــدنَا إلى مَنْزِله ، وَمَـــرَّت الأيَّام وَهُوَ يَعْطِفُ عَلىَّ وَيُحسِنُ إلىَّ ، حَتَّى قَالَ لِى

ذَاتَ يَوْمٍ :

ـ لَقَدْ أحْبَبتُكَ وَصرتَ مِثْلَ ابْنِى ، وَلاَ أريدُ أن تُفَارقَنى ، فَهَلْ تَسمَع نصيحَتى ، وَتَقْبَل الزَّوَاجَ مِن ابْنَتِى ، وَتُصبِح ابْنِى ، وَيَصِيرُ كُلُ مَا أمْلكُ لَكْ .

وَافَقْتُ الشَّيخَ ، فَأحْضَر القَاضى والشُّهود ، وَعَقَد قَرانى عَلَى ابْنَته ، وَكَانَتْ فَتَاةً جَميلةً تَرْتَدى حُلى ثَمينة ، وَأحْبَبتُها ، وَعِشْتُ مَعَها مُدَّةً مِنَ الزَّمَان وأنَا فى غَايَة السُعَادَة ، حَتَّى تَوفَّى وَالدُها الشَّيخُ

الكَبير ، فَصِرْتُ أنَا الْمُتَحَكِّمُ فِى جَمِيعِ أمْوَاله وَأمْلاكه وخَدَمه ، وَصَارَتْ لى مكَانَتُه كَكَبير للتُّجَار ، وَاخْتَلطتُ بِأهْلِ المَدينة وَأحْبَبْتُهم جَميعاً . .

وَبَدأتُ ألاحظُ ظَاهرةً عَجِيبةً لأهَالِى الْمَدِينة .

فى يَوْمٍ مُعَين مِنْ كُل شَهْرٍ تَتَغيَّر أحْوَالُ سُكَّان الْمَدينة ، فَتَظْهَر لَهُم أجْنحَةٌ يَطيرونَ بِها إلى عَنَان السَّمَاء ، ولاَ يَبْقَى فى أسْوَاق الْمَدينَة غَيرُ النِّسَاء والأطْفَالَ ، وتَعَجَّبتُ لِهذه الظَّاهِرةُ ، فَقُلتُ لأحَد أهَالى المَدينَة

ـ أريدُ أنْ تَحْملنى مَعَك إلى السَّماء حَتَّى أشَاهد مَا يَحْدُث .

فَقَالَ رَافضَاً : لاَ . . لَنْ أسْتَطيع .

فَمازِلْتُ أُلُح عَلَيه حَتَّى وَافَقَ ، وَفى اليَومِ

المُحَدد تَعَلَّقْتُ بالرَّجُل ، وَطَار بى إلى السَّماء ، وصرتُ فى سَعَادَة بَالغَة وَأنَا أحَلِّقُ فى الهَّواء ، وتَعَجَّبْتُ لهَذه الظَّاهرةُ ، فَقُلتُ : سُبْحَانَ اللّه والحَمْدُ لله . .

وَقَبْلَ أنْ أتُمَّ التَّسبيح ، انْبَعَثَ لسَانٌ منَ النَّار ، كَادَ يَحْرقُ أهْلَ المَدينَة ، وَألْقَانى الرَّجُل منْ فَوْقه بقَسْوَة ، وَصَرخْتُ وَأنَا أهْوى منَ السَّماء وَأدْرَكْتُ أنَّها نهايَتى .

❖❖❖

استَطعْتُ أنْ أتَعَلَّقَ بصخُور أحَد الْجبَال

الْعَالِيَة ، فَنَجَوْتُ مِنَ المَوت ، وَبَقَيْتُ وَحِيداً فَوْقَ ذَلكَ الْجَبَلِ الْمُوحِش ، وَصِرتُ أتَعَجَّبُ لحالى فكُلَّما ظَنَنْتُ أنَّنى نَجَوتُ مِنْ مَأزَق ، أسْقُطُ فى مَأزَق أشَدُ منْهُ ، وَدَعَوْتُ اللَّه أنْ يُنْقِذَنى وَرَأيتُ غُلامَين جَمِيلَين يَسيرَان وَفى يَد كُلَّ منْهُما عَصاً ذَهَبِيةً يَتَوكَّأ عَلَيهَا وَاتَّجهتُ إلَيهما ، وَسَلَّمتُ عَليهما ، وَسَأَلْتُهما : مَنْ أنْتُما ؟

أجَابَ الغُلاَمَان : نَحْنُ مِنْ عِبَاد اللّه ـ تَعالى ـ .

وَقَدَّما لى قَضيباً منَ الذَّهَب الأحْمَر ، وَابْتَعَدَا مُسرِعِينَ دُون أنْ يَتكَلَّمَا بكَلمة أخْرى .

وَسِرْتُ فَوْقَ الجَبَلِ وَأنَا أفكَّر فِى أمْر الغُلاَمين ، وَأتَسَاءَلْ مَاذَا أفْعَل بهَذا الْقَضيبِ الذَّهَبى ، وَفجْأةً رَأيْتُ مَنْظَراً رَهيباً . . .

كَانَتْ ثمَّة حَيَّة هَائلَة تُهَاجِمُ رَجُلاً . . وَتَبْتَلعُه . . وَيكَادُ جسْمُه يَخْتَفى فِى جَوْفِها وَتَملَّكَنى خَوْفٌ شَديدٌ منْ ذَلكَ الْمَنْظر .

سَمِعْتُ الرَّجُل يَصْرُخُ قَائلاً : مَنْ يُخَلِّصُنى مِنَ الْحَيَّة ، سَيُخلِّصهُ اللَّه مِنْ كُلِّ شِدَّة وكَرب . .

وَعِنْدمَا سَمِعْتُ نِدَاءَه هَاجَمْتُ الحيَّة ، فَضَرَبْتُها عَلى رَأسهَا بالْقَضيب الذَّهَبى ، فأخْرَجْتُ الرَّجُل مِنْ جَوْفها وَابتَعَدّتُ ، فَدَنَا الرَّجُل منِّى وَشكَرنى قَائلاً : لَنْ أتْرُكَكَ بَعْدَ الآن . . . ستَصيرُ رَفيقى فِى الْجَبَل .

وَسِرْتُ مَعَهُ ، وَرَأيْتُ رجَالاً يَقْتَربونَ منَّا ، وكَانَتْ سَعَادَتى شَديدَة عِنْدَما

أبْصَرتُ الرَّجُل الذّى طَارَ بى بَيْنَهُم ، وَقُلتُ لَهُ مُعَاتباً :

ـ لمَـاذَا أَلْقَيتَنى مِـنَ السَّماء ؟ أكُنْتَ تُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنى ؟

قَـالَ الرَّجُل : أنْتَ الذَّى كـدْتَ تُهْلكُنا بتَسْبيحكَ ، ولَنْ أعيدُكَ إلى الْمَدينة إلاَّ إذَا عَاهَدتَّنى أنْ تَظَلَّ صَامتاً حَتَّى نَصِل .

قُلْتُ مُسْتَسلِمَا : أعَاهِدُك .

وَتَعَلَّقْتُ بِه ، فَطَارَ بِى ، وَأعَادَنِى إلى الْمَدِينَة .

❖❖❖

اسْتَقْبَلتنى زَوْجَتِى بترحاب ، وَكَانَتْ قَلقَةٌ لغيابى ، فَأنَا لَمْ أخْبرُهَا بطَيَرانى مَعَ الرَّجُل ، وَعنْدمَا عَلمَتْ مَا حَدَثَ لِى ، قَالَتْ مُحَذَّرةً :

ـ لاَ تَخْرُج مَعَ هَؤلاء القَوْمِ مَرةً ثَانيةً ، فَإنَّهُم إخْوَانُ الشَّيَاطين ، لذَلك لَمْ يكُنْ أبى يَتَعَامَل مَعَهُم .

فَهِمْتُ لِمَاذا أَلْقَانِى الرَّجُل عِنْدَما سَبَّحتُ اللَّه ـ سُبحانه وتَعالى ـ، وَقَالَتْ زَوْجَتِى :

ـ لاَ أُرِيدُ أَنْ أعيشَ مَعَ هَؤُلاء الْقَومِ ، لِنُحَاوِلَ أَنْ نَعُود إلى بَغْدَاد .

وَافَقْتُها مُرحَّباً بفكرَتِهَا ، وَبعْنَا أَمْلاكَ الشَّيْخِ الكَبير وَتَرقَّبْتُ وَصُول إِحْدَى السُّفن لِنَرحَل عَلَيهَا ، وَبَيْنَما أَنَا أَبْحَثُ عَنْ سَفينَة وَجَدْتُ جَمَاعةً منْ أَهْلِ المَدينَة يُرِيدُون السَّفَر ، وتَعَاونَّا مَعاً ، فَاشْتَرينَا الأَخْشَاب ، وَصَنَعْتُ سَفينةً صَغيرةً سَافَرْنَا عليها .

وَتَذكَرتُ الأَهْلَ وَالأَحْبَابَ فِى بَغداد ،

لَقَدْ مَرَّتْ سَنَوَاتٌ طَوِيلةٌ مُنْذُ بِدَايةِ رِحْلَتِى . .

حَوالِى سَبْعَةٌ وَعشْرونَ سَنَةً كَامِلةً . . لَم أزر فِيهَا وَطَنِى وَأَهْلِى .

وَوَصَلْنَا إلى بَغْدَاد ، وَاسْتَقْبَلنى أهْلى وَأَصْحَابِى وَهُمْ يَبكُونَ . . فَقَدْ ظَنوا أنَّى هَلَكْتُ فى هَذه الرَّحلة لطُول غيَابى . .

وَعُدْتُ إلى قَصْرِى ، وَعِشْتُ فى سَعادَة وَهَنَاء مَعَ زَوْجَتِى وَأَهْلِى وَأَصْحَابِى ، وَقَنَعْتُ بالرِّزق الوَافر الَّذى مَنَحَهُ اللَّه لى ، وَلَمْ أعُد أفكَّر فى السَّفَرِ وَالتَّرحال بَعْدَ هَذِه الرحلة الأخيرة .

قَال السِّنْدبَادُ الحمَّال : سَامحْنى يَاسِنْدباد ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أنكَ تَرفُل فى النَّعيم بِدُون شَقَاء ، الآن أدْرَكْتُ أنَّ الإنْسَان لا يَصِل إلى تَحقيقُ أمْنياته فى الحَياة إلا بالعمَلِ وَالكِفَاحِ .

* * *

• نهاية الرحلة السابعة •

أسئلة فى القصة

١-إلى أين إتجه السندبادالبحرى فى رحلته السابعة ؟
٢-إلى أين وجهت الرياح السفينة؟
٣-ماذا فعلت الحيتان الضخمة بالسفينة ؟
٤-كيف نجا السندباد من الغرق ؟
٥-ماذا صنع السندباد ليغادر الجزيرة ؟
٦-كيف أنقذ أهل المدينة السندباد ؟
٧-ماذا فعل الشيخ مع السندباد ؟
٨-بكم باع السندباد أخشاب الطوق ؟
٩-بمن تزوج السندباد ؟
١٠-كيف أصبح السندبادكبيراً للتجار؟
١١-ماالتغير الذى يحدث لأهل المدينة فى يوم معين من كل شهر ؟
١٢-لماذا سقط السندباد وهو طائر فى السماء ؟
١٣-كيف نجا السندباد من الموت ؟
١٤-ماذا قدم الغلامان للسندباد ؟
١٥-كيف أنقذ السندباد الرجل من الحية الضخمة ؟
١٦-لماذا حذرت الزوجة السندباد من الطيران مع أهل المدينة ؟

١٧-كم عاماً قضى السندباد بعيداً عن أهله و وأصحابه؟

١٨-ما هى الحكمة التى تعلمها الحمال من السندباد البحرى؟

١٩- فى صفحتين اكتب القصة باسلوبك ؟

٢٠- اختر عنواناً مناسباً لرحلة السندباد السابعة .